

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة لتاريخ ٢٠٢٤/١١/١ الموافق ٢٩ ربيع الآخر ١٤٤٦ هـ

تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّصْرِ

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ، سُبْحَانَهُ لَا يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ وَلَا يُلَامُ وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ بِالْأَنَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ لَهُ، لَا يُشْبِهُ خَلْقَهُ بَوَجْهِ مَنْ الْوُجُوهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١). وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا وَعَظِيمَنَا وَقَائِدَنَا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَصَفِيَّهُ وَخَلِيلَهُ، صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا عَلَّمَ الْهُدَى مَا سَبَّحَ الدِّيَانَ كُلُّ مُوَحِّدٍ، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الزَّهْرَاءِ أَنْتَ طِبُّ الْقُلُوبِ وَدَوَاؤُهَا وَعَافِيَةُ الْأَبْدَانِ وَشِفَاؤُهَا وَنُورُ الْأَبْصَارِ وَضِيَاؤُهَا صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا عَلَّمَ الْهُدَى مَا هَبَّتِ النَّسَائِمُ وَمَا نَاحَتْ عَلَى الْأَيْكِ الْحَمَائِمُ.

أَمَّا بَعْدُ فَيَا حُمَاهُ الْإِسْلَامِ وَيَا حُرَّاسَ الْعَقِيدَةِ أَوْصِي نَفْسِي وَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. أَنْزَلَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ عَلَى قَلْبِ حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةً مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هِيَ سُورَةُ النَّصْرِ، ثَلَاثُ آيَاتٍ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ نَزَلَتْ عَلَى الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٢). وَتُسَمَّى هَذِهِ السُّورَةُ سُورَةُ التَّوْدِيْعِ وَهِيَ آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ جَمِيعًا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَأَمَّا

١ سورة الشورى/١١.

٢ سورة النصر/١-٣.

ءَاخِرُ آيَةِ نَزَلَتْ فِيهِ مَا نَقَلَهُ الْبُخَارِيُّ وَعَيْزُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^٢.

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^١ التَّصْرُ الْعَوْنُ وَأَمَّا الْفَتْحُ فَهُوَ فَتْحُ مَكَّةَ، لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ قَالَتِ الْعَرَبُ أَمَّا إِذَا ظَفِرَ مُحَمَّدٌ بِأَهْلِ الْحَرَمِ وَقَدْ أَجَارَهُمُ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ فَلَيْسَ لَكُمْ بِهِ يَدَانِ أَيُّ طَاقَةٍ فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^٢ أَيُّ جَمَاعَاتٍ كَثِيرَةً فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ بَعْدَمَا كَانُوا يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدًا وَاحِدًا أَوْ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾^٣ فَفِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا الصَّلَاةُ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْآخَرُ التَّسْبِيحُ الْمَعْرُوفُ قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَأَسْتَغْفِرُكَ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^٤ أَيُّ دُمْ عَلَى الْإِسْتِغْفَارِ إِنَّهُ كَانَ وَلَمْ يَزَلْ تَوَّابًا كَثِيرَ الْقَبُولِ لِلتَّوْبَةِ. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَهْ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ أَهْ

إِحْوَةَ الْإِيمَانِ إِنَّ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَسِيرَةِ نَبِيِّ اللَّهِ الْعَظِيمِ لَدُرُوسًا وَعِبْرًا فَكُنَّا يَعْلَمُ شِدَّةَ مَا قَاسَاهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابُهُ فِي أَوَّلِ الْبِعْثَةِ مِنَ الْمَشَاقِّ وَالْإِيذَاءِ وَالتَّصَبُّبِ فِي نَشْرِ دِينِ الْحَقِّ وَنُصْرَتِهِ وَكَمْ عَانُوا فِي الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ مِنَ الْبَلَايَا وَالْمِحَنِ مَعَ قَلَّةِ عَدَدِهِمْ وَكَثْرَةِ أَعْدَائِهِمْ مَالًا وَرِجَالًا ثُمَّ جَاءَ النَّصْرُ وَالْفَتْحُ فَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، جَاءَ الْفَرَجُ بَعْدَ الصَّبْرِ وَإِنَّ الْفَرَجَ مَعَ الصَّبْرِ وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَعَ الصَّابِرِينَ بِالتُّصْرَةِ وَالْحِفْظِ وَالْإِكْرَامِ، فَلَا يَنْبَغِي لِلوَاحِدِ مِنَّا أَنْ تَثْنِيَهُ الْمَصَاعِبُ وَالْمَشَاقُّ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ عَنِ الثَّبَاتِ وَالْمُضِيِّ قُدَّمًا فِي نَشْرِ عَقِيدَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَشْرِ الْخَيْرِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْوَطَنِ

^٢سورة البقرة/٢٨١.

وَخَارِجَهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ مَعَ صَدْرِنَا فَتْحًا وَفَرَجًا وَيُؤْتِينَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذُخْرًا فَضْلًا مِنْهُ وَكَرَمًا،
اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الْحَقِّ وَنُصْرَتِهِ وَسَخِّرْنَا لِحُدُومَةِ دِينِكَ وَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.
هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الغانية

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
الصَادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَالِ
الْبَيْتِ الطَّاهِرِينَ وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعَنِ الْأَئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ
أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ وَعَنِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ
وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقُوهُ.

Après quoi, vous les défenseurs de l'Islam, vous les gardiens de la croyance, je vous recommande ainsi qu'à moi-même de faire preuve de piété à l'égard de *Allah Al-'Aliyy Al-'Adhim*. Faites preuve de piété à l'égard de Dieu d'une véritable piété. Notre Seigneur *soubhanah* a fait descendre sur le cœur de celui qu'Il agréa le plus, *Mouhammad*, ﷺ, une sourate du *Qour'an* honoré qui est la sourate *An-Nasr*. Trois versets qui ont été descendus sur notre bien-aimé élu alors qu'il se trouvait à Médine. *Allah tabaraka wata'ala* dit ce qui signifie : « **Lorsqu'arrivera la victoire [accordée par] Dieu et la conquête [de La Mecque], et que tu verras les gens entrer dans la religion [agréée par] Dieu par groupes, fais le *tasbih* pour ton Seigneur et demande Son pardon, Il est certes Celui Qui accepte le repentir chaque fois qu'on le renouvelle.** »

Cette sourate est aussi appelée *sourat at-Tawdi'* c'est-à-dire la sourate de l'adieu. C'est la dernière sourate à avoir été révélée en totalité, comme l'a dit *Ibnou 'Abbas* tout comme cela figure dans le *Sahih* de *Mousslim*. Quant au dernier verset à avoir été révélé, *Al-Boukhariyy* et d'autres ont rapporté d'après *Ibnou 'Abbas* qu'il s'agit du verset 281 de la sourate *Al-Baqarah* qui signifie : « **Craignez un Jour dans lequel vous reviendrez [à la vie] pour le Jugement de Dieu, ensuite chaque âme sera justement rétribuée en fonction de ce qu'elle aura acquis et nul ne subira d'injustice.** »

Lorsqu'arrivera la victoire [accordée par] Dieu et la conquête [de La Mecque] », *an-nasr* – la victoire –, c'est l'aide accordée par Dieu et *al-fath*, c'est la conquête de La Mecque.

Lorsque le Messager de Dieu *alayhi s-salam* a conquis La Mecque, les arabes ont dit : « Si *Mouhammad* a eu gain de cause sur les gens de l'enceinte sacrée de La Mecque, alors que Dieu les avait préservés de l'armée qui avait apporté un éléphant, alors vous n'aurez aucune capacité de le contrer. » Ils sont alors entrés dans la religion agréée par Dieu par groupes entiers. Et c'est la réalisation de la parole de *Allah ta'ala* qui signifie : « **Et que tu verras les gens entrer dans la religion [agréée par] Dieu par groupes** », c'est-à-dire que tu verras les gens entrer en Islam groupe après groupe, alors qu'auparavant, ils entraient un par un, ou deux par deux.

Quant à Sa parole *ta'ala* qui signifie : « **Fais le *tasbih* pour ton Seigneur, fais la louange pour Lui** », il y a à ce sujet deux avis : Le premier est qu'il s'agit de l'ordre de faire la prière, c'est ce qu'a dit *Ibnou 'Abbas*. Le deuxième, c'est le *tasbih* qui est connu, c'est-à-dire le fait de dire *soubhana l-Lah*. Tout comme l'a dit un ensemble d'exégètes du *Qour'an*.

Quant à l'explication de Sa parole *ta'ala* qui signifie : « **et demande Son pardon, Il est certes Celui Qui accepte le repentir chaque fois qu'on le renouvelle** », c'est-à-dire persévère sur l'*istighfar* – la demande de pardon –, car c'est une cause continue pour obtenir beaucoup de récompenses et l'acceptation du repentir. *Al-Boukhariyy* rapporte de *'A'ichah*, que Dieu l'a agréé, qu'elle a dit : « Le Prophète ﷺ n'a pas fait une seule prière, après que lui a été révélé : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ('*idha ja'a nasrou l-Lahi wal-fath*), sans dire :

((سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي))

(*soubhanaka Rabbana wabihamdik Allahoumma ghfir li*) ce qui signifie : « **Tu es exempt d'imperfection, notre Seigneur et je Te loue ; ô Dieu, pardonne-moi.** »

Et dans une autre version qu'il rapporte d'elle également, elle a dit : « Le Messager de Dieu ﷺ disait beaucoup dans son inclination et sa prosternation :

((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي))

(*soubhanak Allahoumma Rabbana wabihamdik Allahoumma ghfir li*) c'est ainsi qu'il interprétait le *Qour'an*. »

Mes frères de foi, il y a dans les versets du *Qour'an* et dans la conduite du Prophète éminent ﷺ des leçons et des moralités. Nous tous savons les épreuves qu'ont endurées le Prophète ﷺ ainsi que ses compagnons, au début de la révélation, les difficultés, les nuisances, la fatigue pour diffuser la religion de vérité, pour la soutenir. Et combien ils ont enduré d'épreuves pour persévérer sur la vérité, combien de difficultés malgré leur faible nombre face au grand nombre de leurs ennemis et à la grande quantité de biens que leurs ennemis possédaient. Puis la victoire est arrivée ainsi que la conquête, c'est ainsi que les gens sont entrés dans la religion agréée par Dieu en grand nombre. La délivrance est venue après la patience, la délivrance accompagne la patience. *Allah tabaraka wata'ala* donne la victoire à ceux qui patientent. Il les soutient, Il les

protège, Il les honore. Il ne convient pas que les difficultés et les épreuves fassent plier l'un d'entre nous et l'amènent à cesser de travailler à appeler à la vérité. Il doit au contraire persévérer et aller de l'avant pour diffuser la croyance du Messager de Dieu ﷺ, pour diffuser le bien parmi les gens, au sein même de sa patrie et ailleurs. Que Dieu nous accorde avec notre patience, des conquêtes et des délivrances et qu'Il nous accorde au Jour du jugement une grande récompense de Sa part, par Sa grâce.

واعلموا أنّ الله أمركم بأمرٍ عظيمٍ، أمركم بالصلاة والسلام على نبيِّه الكريم فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٥؛ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^٦ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ اللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا فَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَعَامِنِ رُوعَاتِنَا وَاكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَقِنَا شَرَّ مَا نَتَخَوَّفُ اللَّهُمَّ اجْزِ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ الْهَرِيرِيَّ رَحِمَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنَّا خَيْرًا. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يَثْبِيحُكُمْ وَاشْكُرُوا يَزِدْكُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ يُغْفِرْ لَكُمْ وَاتَّقُواهُ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.

^٤ سورة الاحزاب / ٥٦.

^٥ سورة الحجج / ١-٢.